

متى دخل الإسلام اليابان؟!

بقلم: د. محمد بن سعد الشويعر

رئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية بالرياض

تاريخ الإسلام، ودخوله اليابان جديد في تاريخه، فهو لم يبلغ قرنا من الزمان، وفق ما وصل إلينا علمه، وتعتبر الحرب الروسية اليابانية في مطلع القرن الميلادي الحالي، هي المفتاح الذي أنار الطريق أمام اليابانيين للبحث في دين يعتقدونه وينتحلونه، يقول أحد المشاركين في أول مؤتمر عُقد في اليابان للبحث عن الدين المناسب بين الأديان الموجودة على ظهر الأرض: كأن الحرب الروسية كانت بمنزلة المرآة لدى اليابانيين، نظروا إلى هيئاتهم الاجتماعية، فرأوا فيها المجد والفخر وسائر الصفات التي تسمو بالرجال إلى أعلى مراتب العزة والمنعة، ولكنهم رأوا فيها شيئا لم يرضوه لأنفسهم ألا وهو الدين، رأوا معتقداتهم الأصلية التي اتبعوا فيها آباءهم وأجدادهم، ليست منطبقة على العقل، فأنفوا أن يكونوا مع هذا الفخر الباهر، غير متدينين بدين يوافق رقيهم المادي والعقلي والأدبي.

وإن كان بعض الباحثين ينسبون بدء الإسلام في اليابان، إلى الجنود الروس المسلمين الذين غرقت سفينتهم، فأنقذ بعضهم أحياء، وأدخلهم اليابانيون السجن، فرأوا حسن استقامتهم وصلاتهم ماجعل المسؤولين عنهم في السجن، يرتاحون لهم، ويأذنون لهم بالخروج من السجن للأسواق ثم يعودون في الوقت المحدد، دون أن يحدث منهم كذب أو مخالفة، ومع أنهم لا يعرفون لغة بعض إلا أن محبة هذا الدين، الذي يعتنقه بعض الجنود الروس، وهو دين الإسلام، جعل اليابانيين، المشرفين عليهم يسهلون مهماتهم، ويساعدونهم في تخصيص مكان للصلاة والطهارة والوضوء في السجن، حتى شفعت الدولة العثمانية بإعادتهم إلى بلادهم عن طريق تركيا، لأن لها علاقة مع اليابان ذلك الوقت، لكن تلك الحرب جعلت جذورا لدى اليابانيين، ولذلك اجتمع الكبراء والوزراء في عام 1906 م الموافق 1324 هـ، مع العلماء منهم، وتباحثوا في شأن اتخاذ دين من الأديان، يقبله العقل ويكون دينهم الرسمي، فكان ممن حضر هذا الاجتماع "البارون سوتانفو" وزير الداخلية سابقا، فوافق على هذا الاقتراح، وقال: إن أمة متمدنة مثلنا يجب أن تتخذ لها دينا مبنيا على قواعد صحيحة، وأصول لا تدع في النفوس ريба، ولكن أدع لغيري اختيار الطريقة التي بها نصل إلى المرغوب، فقال الكونت

”كاتسورة“ رئيس الوزراء سابقا: إن الرأي عندي هو أننا نرسل إلى الدول المتمدنة خطابات رسمية، ليرسلوا إلينا العلماء والفلاسفة من المتشرعين في دياناتهم، ومتى وصلوا إلينا، عقدنا مؤتمرًا دينيًا، تدور فيه المناقشة والمباحثة، في فلسفة الأديان، وبشرح كل أهل دين قواعده، ومتى اهتدينا إلى الدين الصحيح اعتنقناه، وجعلناه ديننا الرسمي. فصادق على هذا الرأي، الكونت ”جرافوش“، وصرّح بأنه هو الرأي، الذي كان يدور بخلد من قبل أن يفتح باب الكلام في هذا الموضوع.. وكبداية للترغيب في الإسلام كان مما قاله الكونت ”جرافوش“ أن رجلا من أهل الصين المسلمين يدعي ”حسان نيوس“ حضر إلى اليابان في شهر أغسطس سنة 1905 م، ومعه كتاب في الديانة الإسلامية، ألفه وفيه بيانات كافية وأدلة منصفة، حتى أنني استحسنت هذه الديانة، ولكن ظروف الأحوال – ويعني بذلك حربهم مع الروس – حالت دون أن يسمح لهذا الرجل بنشر كتابه، إذ الأمة اليابانية لم تكن في هذا الوقت بحثت عن دين تعتنقه.

أما الآن وقد عزمتم على عقد مؤتمر ديني يكون جامعا لعلماء وفلاسفة كل دين، فإني أوافق على هذا كل الموافقة، كما أنني أرى أن الأمة متى رأتكم شرعتم في أمر كهذا فهي تابعة لرأيكم. قال هذا الكلام لأن حرية الأديان عندهم مطلقة، وكل إنسان يعتنق الدين الذي يرغبه، لذا فقد استحسن الجميع كلامه واقتنعوا في اقتراحه، فرفع الأمر إلى الميكادو، وهو السلطان واسمه ذلك الوقت ”متسوهيتو“، وهو الرابع والعشرون من ملوك العائلة الحاكمة، وقد كانت ولادته على 1852 م.

وقد أصدر أمره الرسمي بإرسال الخطابات إلى الدول العظمى، وكان في مقدمتها الدولة العثمانية، وفرنسا، وانجلترا وإيطاليا، والولايات المتحدة، وألمانيا، فأرسلت هذه الدول الوفود من رؤساء كل مذهب ودين، ولما كانت الدول الغربية، كلها تعتنق الدين المسيحي، إلا أن منهم كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت، وقد عقد المؤتمر في أول شهر مارس عام 1906 م الموافق 1324 هـ.

كان في الوفد الإسلامي أناس ذهبوا على حسابهم، ولم تخترهم الدولة العثمانية، وقصدهم الحماسة في الدعوة إلى دين الإسلام، واحد مصري، وآخر تونسي، والتقوا في ”هنج كنج“ بمسلم صيني اسمه سليمان الصيني، وقد كان الاجتماع في طوكيو، وفي ذلك الوقت كانت حديثة العهد بجعلها عاصمة للمملكة اليابانية، كما تعتبر ذلك الوقت العاصمة مدينة ”كيوتو“ التي هي مقر للملك، أما طوكيو فهي عاصمة لعائلة الشجن، الذين كانوا ينازعون

الأمبراطور في الملك، وهذه العائلة كانت تحكم باسم الميكادو، وبذلك كان لليابان عاصمتان: إحداهما شرقية، وهي كيوتو عاصمة الميكادو، والثانية غربية وهي طوكيو عاصمة الشجن. أما اسم طوكيو فيقال: إنه حديث، فقد كانت تسمى "ييدو" فلما صارت عاصمة للمملكة بأجمعها سميت طوكيو، ومعنى هذا في اللغة اليابانية "عاصمة الشمس" وكانت مشهورة بكثرة الزلازل والحرائق، وفي وسط المدينة قنطرة عُمِلت من أخشاب الأبنوس، وتسمى بالشمس المشرقة. وفي يوكوهاما انضم للوفد المتطوع: حاج روسي اسمه: الحاج مخلص محمود الروسي، حيث التقى بالثلاثة الآنف ذكرهم في يوكوهاما، وكان قد أرسله أحد الأثرياء على نفقته للدعوة الإسلامية في اليابان، بعد ما عرفوا رغبة اليابانيين لاعتناق دين جديد.

أما وفد الدولة العثمانية فهو وفد رسمي، وهؤلاء الأربعة: مصري وتونسي وصيني وروسي، جمع بينهم في الهدف حب الخير، والرغبة في التعريف بالإسلام، والدعوة إليه، واعتبروا أنفسهم مبشرين مسلمين، والرابطة بينهم دينية لا إقليمية، لأن الإسلام دين يوحد بين أبناء الأمم "لا فرق فيه بين عربي وعجمي إلا بالتقوى".

وفي طوكيو وجدوا خامسا قد سبقهم، من علماء وفضلاء الهند المسلمين يُدعى: السيد حسين عبدالنعم، فجاء إليهم وأظهر لهم الارتياح من حضورهم إلى اليابان، وأخبرهم أنه قدم إلى هذه البلاد على نفقة بعض أفاضل مسلمي الهند للتبشير بالإسلام، وأن له نحو الخمسة شهور، وهو متشوق إلى من يعضده، ويساعده من المسلمين في نشر لواء الإسلام، ولم يجد أحدا، ولذا كان يقاسى متاعب شتى، شأن المنفرد في عمل كبير، فإنه لابد أن يحتاج إلى معين، ثم اتفق هؤلاء الخمسة المتطوعون، على أن يكونوا في دعوتهم وعملهم الإسلامي يدا واحدة، وأن أحسن شيء يقومون به، هو إنشاء جمعية مؤلفة منهم، فاستحسنوا هذا الرأي. ثم قرروا استئجار محل للسكنى أولا، ومقر للجمعية ثانيا، فأخذوا في البحث عن المكان المناسب. وقد حصل تعارف بين زميلهم الهندي: حسين عبد النعم صدفة، ورجل ياباني في مشاهير التجار يدعى الميسو "جازنيف"، وصفوه بالفتنة والذكاء وكرم الأخلاق، وقد سأله حسين عما إذا كان يستطيع إعادتهم في البحث عن منزل للجمعية والسكنى، فطلب من حسين الالتقاء بزملائه، وعند ما تم شرحوا له قواعد الإسلام، وما هي مهمة جمعيتهم، فلما وقف على حقيقة دين الإسلام، وذاق حلاوته في قلبه، بعد أن شرح الله صدره للإسلام قال: اعتبروني من الآن في عداد

المسلمين، واستبشروا به ولقنوه الشهاداتين وهنأوه على خروجه من الظلمات إلى النور. فكان سادسهم في إنشاء هذه الجمعية.

وقد تبرع بمنزل له مؤثث وكامل التجهيز ليكون مقرا للجمعية وسكنا لهم، ثم أحضر لهم خادما من النزلاء الأميركان، ولما شكروه قال: كل هذا تبرعت به، وبما تطلبون مني أيضا إكراما لهذا الدين الذي باعتناقي إياه أصبحت أسعد السعداء.

وقد قرر هؤلاء نفر أن تكون دعوتهم في هذا المبنى على هيئة محاضرات توضح الإسلام وتعاليمه، وألا يذهب أحد منهم للتنقل في البلاد كما يذهب غيرهم من المبشرين، وأن يكون الدخول لمقر الجمعية مجانا وانعقاد الجمعية ليلا، حين يفرغ الناس من أعمالهم. وفي أول يوم لانعقاد الجمعية، أقبل الناس عليهم زمرا حتى غص بهم المكان، وما كانوا يتوقعون هذا الحضور، ومن ترتيبهم أن أعدت خطب باللغة العربية، يترجمها للإنجليزية حسين عبد المنعم الهندي، ويترجمها لليابانية المسيو "جازنيف" الياباني فألقاها أمام الحاضرين، فوجدوا إقبالا من الحاضرين على معرفة هذا الدين وأجابوا على أسئلتهم.

وهكذا في الجلسة الثانية، زاد عدد الحضور، وقد كان هذا الوفد التبشيري بالإسلام، يحرصون على تفهيم الناس، والإجابة على أسئلتهم المكتوبة والشفوية، ويعترفون أن الفضل ليس لهم في اختيار الطريقة السهلة التي استعملوها في تقرير قواعد الإسلام، بل الفضل لله ثم للسلف الصالح من المسلمين جزاهم الله عن الإسلام خير الجزاء، وأن الذي سهّل أيضا هداية القوم إلى دين الإسلام القويم، أن حال اليابانيين الطبيعية ساعدت كثيرا على اعتناق الإسلام، لأنهم قوم عندهم استعداد طبيعي لقبول كل ما يوافق العقل، ونفي كل ما يخالفه، مهما أثبتوه بجميع أنواع السفسطة والمواربة، إذ كل ما زدناهم معرفة بدين الإسلام زاد عدد الذين يعتنقونه منهم، حيث انتشر صيت هذه الجمعية في طوكيو وانتشارا واسعا.

وفي مدة وجيزة اعتنق الإسلام على أيدي هؤلاء الخمسة وزميلهم الياباني في الجمعية نحو اثني عشر ألف رجل، منهم كثير من الحكام والتجار المعتبرين، وذوي الحثيات.. وقد عقدت هذه الجمعية نحو ثمانية عشرة مرة، وفي كل مرة كان يعتنق الإسلام خلق كثير، ولما حان سفر المصري والتونسي والهندي رغب الروسي والصيني البقاء ستة شهور حتى يبذلا جهدا في التبشير بالدين الإسلامي.

ولم يفارق الجميع إلا بعد أن وضعوا معلومات مكتوبة ومترجمة بدين الإسلام وتعاليمه وكفاؤهم خيرا بحسن قبول اليابانيين للإسلام، وفي هذه الأيام صدر تقرير عن مدى انتشار الإسلام الواسع في اليابان.

ضربنا بسيفه: جاء في كتاب مروج الذهب للمسعودي أن الشعبي قال: لما انهزم ابن الأشعث ضاقت بي الأرض، وكرهت ترك عيالي وولدي، فلقيت يزيد بن أبي مسلم، وكان لي صديقا وكانت الصداقة تنفع عنده، فقلت له: قد عرفت الحال بيني وبينك، وقد صرنا إلى ما ترى قال: يا أبا عمرو إن الحجاج لا يكذب ولا يعوى ولا ينبح ولكن قم بين يديه، وأقر بذنبك واستشهد بي ما شئت.

فوالله ما شعر الحجاج، الا وأنا ماثل بين يديه، فقال: أعامر؟ قلت: نعم، أصلح الله الأمير، قال: ألم أقدم العراق، فأحسنك اليك، وأدنيك وأوفدتك على أمير المؤمنين واستشرتك، قلت: بلى أيها الأمير قال: فأين كنت من هذه الفتنة؟ قلت: استشعرنا الخوف، واكتحلنا السهر، وأحزن بنا المنزل، وأوحش بنا الجنب، وفقدنا صالح الإخوان، وشملتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء، ولا فجرة أقوياء، وهذا يزيد بن أبي مسلم قد كان يعرف عذري، وكنت أكتب إليه.

فقال: صدق أصلح الله الأمير، قد كان يكتب إلي بعذره ويخبرني بحاله، فقال الحجاج: فهذا الأحقق ضربنا بسيفه، ثم جاءنا بالأكاذيب، كان وكان، انصرف إلى أهلك راشدا (2 : 573). وجاء في زهر الآداب للحصري القيرواني أن أيوب بن الفرية دخل على الحجاج، وكان فيمن أسر من أصحاب عبد الرحمن بين الأشعث، فقال له: ما أعددت لهذا الموقف، قال: ثلاثة صفوف كأنها ركب وقوف، دنيا وآخرة ومعروف، فقال له الحجاج: بئسما منيت به نفسك يا ابن الفرية، أتراني ممن تخدعه بكلامك وخطبك، والله لأنت أقرب إلى الآخرة من موضع نعلي هذه، قال كليني عثرتي، وأسفني ربقي، فإنه لا بد للجواد من كبوة، ولل سيف من نبوة، وللحليم من صبوة. فقال: أنت الى القبر أقرب منك إلى العفو، ألسنت القائل وأنت تحرض حزب الشيطان، وعدو الرحمن، "تغدوا بالحجاج قبل أن يتعشى بكم"، ثم قدم ف ضرب عنقه [4 : 49]